خصائص التأليف النحوي عند ابن معطي الزواوي من خلال"الدرّة الألفية"

Characteristics of grammatical writing according to Ibn Moati Al-Zawawi through "Al-Durrah Al-Alfiya"

أحمـد لعويــجي [1،*]،

[1] جامعة المسيلة-(الجزائر)- ، laoudjiahmed@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/05/04 **تاريخ المراجعة**: 2021/09/23 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

بالنظر لِما اعترى مادة النحو العربي من صعوبة وتعقيد، لأسباب عدة: منها ما يعود لطبيعة المادة، ومنها يرجع لضخامة الإرث النحوي، ومنها ما يعود إلى الطريقة التي تقدّم بها هذه المادة للمتعلمين؛ فقد اجتهد المؤلفون من النحاة إلى انتهاج سُبل ومناهج شتى في تآليفهم(المنهج التعليمي، المنهج الوصفي، المنهج الفلسفي العقلي) بغرض تطويع المادة النحوية، وجعلها في متناول الناشئة والمتعلمين. ولتسهيل حفظ المادة-النحو- واستعمالها وجعلها قريبة منهم؛ مما جعل ابن معطي الزواوي يهتدي إلى إخراجها في منظومة موزونة من ألف(1000) بيت تقرّب الدّرس النحوي من المتعلّم.

الكلمات المفتاحية: النحو- طرق التدريس- منهج التأليف النحوي- المنظومة النحوية .

Abstract:

Considering the difficulty and the complexity faced the Arab grammar for several reasons including those refer to its nature, those refer to the huge grammar heritage, and those refer to the method through which it's presented to learners. The grammarians have effortfully followed several methods, in their writings, including the educative, the descriptive, and the mental philosophical methods for the sake of modulating the grammatical material and make it easy,useful,and familiar to the learners to be learnt by heart. For that sake, Ibn MaatiEzzawawi wrote it in the form of a long poem of 1000 verses making the learner familiar with the grammatical lesson.

***Key words**:Grammar, teaching methods, the grammatical writing method, the grammatical system*

.

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

تسعى كل الأمم وعلى مختلف مشاربها إلى الاهتمام بلغاتها القومية، والعمل على نشرها باستخدامها بشتى الوسائل المتاحة؛ لِمَا للغة من رمزية لكيان الأمة؛ فهي عنوان شخصيتها القومية، وهي وسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار والحاجات، والناقل للثقافات والعادات عبر الأجيال.

من هذا المنطلق أقبل الأمازيغ(السكان الأصليون لبلاد المغرب العربي) على غرار ما كان من أهالي البلاد التي فتحها المسلمون من غير بلاد العرب-الفرس، الروم، الأحابش...- الذين انكبّوا على الدراسات اللغوية والنحوية، فتعمقوا في المجال اللغوي؛ فسبروا أغوار العربية؛ وجدّوا واجتهدوا، ودرسوا ودرّسوا حتى صاروا أعلاما في مجالات لغوية مختلفة، فمنهم مَنْ تعلّم النحو حتى صار فيه لا يجارى، ومنهم مَنْ برع في فنون البلاغة، ومنهم مَنْ كان له حظ وافر من علم العروض، ومنهم مَنْ حاز كل ما يتعلق باللغة مما سبق ذكره وغيره. فبعد أن رحل عدد منهم إلى المشرق العربي لأخذ العربية من منابعها الأصلية؛ وطاف شبه الجزيرة العربية، وتنقّل بين أرجائها ماسحا بلاد العربية الأولى، آخذا عن العرب الخُلّص-قبائل شبه الجزيرة العربية – مشافهة، ولاقى رواد العربية الأُوّل من أمثال الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري... كعبد الرحمان بن موسى الهواري، وبكر بن حماد التاهرتي ... مما أدى إلى نشوء جيل من اللغويين والنحويين الذين كان لهم فضل السبق في التأليف؛ فتركوا إرثا نحويا ولغويا، كان له فضل كبير في حفظ التراث اللغوي من الاندثار. كما كان للهجرة العكسية – من بلاد المشرق العربي إلى بلاد المغرب العربي- دور في نقل معارف العرب إلى أهل المغرب وكل أرجاء الأرض المفتوحة والتي دخلها الإسلام؛ فحلّ في تونس(إفريقية) أمان بن الصمامة وجعفر الطرماح بن حكيم...

والملاحظ أن الدرس اللغوي والنحوي على وجه الخصوص في بلاد المغرب سار على وتيرة بقية العلوم؛ فمرّ بمراحل تفرضها طبيعة الحياة في نموه وتطوره؛ وهي مراحل التطور والتكوين من النشأة إلى النمو شيئا فشيئا وصولا إلى الكمال. والأكيد أنّه وعبر مراحل النمو والتطور تتعدد التفسيرات للظواهر اللغوية أو النحوية؛ فتُعَزّز بالآراء العلمية؛ وبالتالي تتفرق المذاهب وتتعدد «وكذلك العلوم كلها، يوضع منها في مبادئ أمرها شيء يسير، ثم يزداد بالتدرج إلى أن يستكمل آخرا.»1 فالعلوم عادة ما تبدأ مسائل بسيطة تُطرح للنقاش والمدارسة؛ فتُبدى حولها الآراء وتتعدد مما يدعو غلى ظهور المذاهب المتفرقة، والاتجاهات المتعددة؛ كما هو حال النحو العربي الذي تعددت آراء النحاة في مسائله وانقسمت؛ فانبثقت عنها مذاهب مختلفة: المذهب البصر، والمذهب الكوفي، والمذهب البغدادي...واختلفت اتجاهاته، فمنها من يرى:

أنّ النحو العربي هو دراسة لأحوال الكلم إعرابا وبناءً؛

أنّ النحو هو السبيل الوحيد لتفسير الكلام من خلال المظاهر المصاحبة للتراكيب(حذف، تقديم، تأخير...)؛

واتجاه ثالث: ينظر إلى النحو من الناحية الوظيفية، من حيت تأليف الكلام، والإشارة إلى معاني المواقع الإعرابية المختلفة؛

وفريق رابع: يحاول الجمع بين الدرسين الصرفي والنحوي تحت مصطلح(قواعد اللغة) للدلالة على النحو والصرف.2

بالإضافة إلى ذلك تعدد المناهج في التأليف النحوي؛ وهذا ما يمكن ملاحظته في كتب النحو، فمنهم مَنْ رتب موضوعات كتابه حسب الوظيفة النحوية للكلمة في التركيب: المبتدأ – الخبر- الفاعل- المفعول... ومنهم مَنْ رتبها حسب نوع الكلمة: الأسماء- الأفعال- الحروف. ومنهم مَنْ رتّب موضوعات كتابه بحسب الحركة الإعرابية: المرفوعات- المنصوبات- المجرورات. ومنهم مَنْ رتبها بحسب: العمدة(مبتدأ- فاعل- نائب فاعل)- الفضلة(المفعول به – المفعول معه –المفعول فيه...).

01- التعريف بابن معطي الزواوي (628هـ):

أبو الحسن زين الدين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الجزائري الزواوي « منتهى أصله من قبيلة (آغراوسن) بزواوة »3. وقيل: « الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي »4. كما قيل أيضا: « الزواوي القبيلة المغربي الأصل والنشأة الجزولي البلد »5. وأما عن نسبه فيعود إلى قبيلة (زواوة) بفتح الزاي وبين الواوين ألف؛ من أعمال إفريقية ذات بطون وأفخاذ[6].

أ- مولده ونشأته: أجمعت جلّ كتب التراجم أنه ولد سنة 564هـ بقبيلة الزواوة بظاهر بجاية، وقيل:« من مواليد عزازقة بالقرب من تيزي وزو »[7]. نشأ وترعرع في منطقة زواوة بين أهله وعشيرته، ولم تحمل لنا كتب التراجم شيئا عن صباه، ولا عن طريقة تعلّمه « إلا أنه من المؤكد أنه أقبل منذ الصغر على تلقي العلم واكتساب المعرفة، فاهتم بالتحصيل والدرس »[8]. وكان واحدا من أئمة عصره، ظاهرا في علوم العربية، شاعرا محسنا، كثي ر الحفظ، أخذ العلم عن مشايخ بلده، وتفقه في المذهب المالكي، ثمّ انتقل إلى المشرق « فتشفع ثم تحنّف »[9]. فهو حنفي المذهب.[10]

سكن ابن معط دمشق فالتقى فيها ابن عساكر وأخذ عنه، وأقرأ بها النحو فانتفع به خلق كثير، ثمّ أن الملك الكامل بمصر رغبه في الانتقال إلى القاهرة، فانتقل وتصدّر لإملاء الأدب وتدريسه بجامعها العتيق فالتفّ حوله خلق كثير، وأقبل عليه الناس يعظمونه ويكبرون علمه وأدبه فأخذ عنه علما كثيرا، وانكب على التدريس والتأليف فتخرّج على يديه واستفاد من علمه خلق كثير11. وأجرى له الملك الكامل راتبا، وظل في جامع عمرو بن العاص يقرئ الناس الأدب والنحو إلى أن وافه أجله.

ب- شيوخه: تلقى ابن معطي العلم على يد جمع من أفذاذ عصره، فأخذ النحو بالمغرب الأوسط عن الجزولي (607هـ)[12].

ولمّا انتقـــل إلى دمشـــق التقى ابن عساكر(600هـ)[13]. مثلما أخذ على التاج الكندي(597هـ)[14].

ـ الجزولي: قال عنه صاحب البلغة: « عيسى بن عبد العزيز بن يلَلْبخت الجزولي النحوي من أهل مراكش وجزولة: من قبائل البربر، ويقال(كزولة) بالكاف. حجّ فلقي ابن بري بمصر، فلازمه وأخذ عنه النحو واللغة والأدب وقرأ عليه الجمل للزجاجي، وسمع عليه صحيح البخاري فكان واحدا من فئة انتهت إليه رئاسة العربية ببلده. (ومن مصنفاته كتاب القانون في النحو) توفي بأزمورة من ناحية مراكش سنة سبع وستمائة » [15].

ـ **التاج الكندي**:هو« زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة أبو اليُمن الكندي البغدادي، من ساكني دار الخلافة. لازم الشريف أبا السعادات ابن الشجري ـ هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسيني المتوفى سنة 542هـ ـ وابن الجولقي ـ أبو منصور موهوب بن محمد الجولقي ـ فبرع في النحو واللغة، وكان مستحضرا لكتاب سيبويه، ذا حظ جيد، وتقدّم إلى عبد العزيز فرخشاه ـ أو فروخ شاه. وهو شاعر نابغ: أخو صاحب حماة تقي الدين عمر المظفر المتوفى سنة 587هـ ـ ثمّ انتقل إلى تقي عمر صاحب حماة، وكان حسن الصورة والكلام في قالب الوزارة، وكان الملك المعظم عيسى يتردد عليه. توفي بدمشق سنة ثلاث عشر وستمائة، له حواشي على ديوان أبي الطيب المتنبي، مدحه ابن الدهان... وقد مدحه علي بن محمد السخاوي...»[16].

ـ **ابن عساكر**: هو « قاسم بن الحسين بن زيد بن الحسين بن هبة الله أبو محمد بن عساكر، محدّث من أهل دمشق زار مصر وأخذ عن أهلها، وهو ابن صاحب التاريخ الكبير. وله كتب كثيرة منها فضل المدينة، الجامع المستقصى في فضائل الأقصى، الجهاد، مجالس إملاء،له طلاب كثيرون ولد سنة 528هـ وتوفي سنة 600هـ »[17].

تلاميذه: ذكر المؤرخون وأصحاب التراجم والسير عددا ممن أخذ وانتفع بعلم ابن معطي، نذكر منهم:

ـ السويدي: الحكيم العلامة شيخ الأطباء عزّ الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرفان الأنصاري الدمشقي المتوفى سنة 690هـ18. قال عنه صاحب (الشذارات): « ... ولد سنة 600هـ وسمع من الشمس العطار وابن ملاعب وطائفة وتأدب على ابن معطي وأخذ الطب عن المهذب الدخوار وبرع في الطب وصنف فيه وفاق الأقران وكتب الكثير بخطه المليح ونظر في العقليات وألّف كتاب الباهر في الجواهر وكتاب التذكرة في الطب وتوفي في شعبان »19.

ـ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن يوسف أبو إسحاق الأنصاري الاسكندري الكاتب المعروف بابن العطار. المتوفى سنة 649هـ وقد ذكر أنه تأدب على ابن معطي20.

ـ أبو بكر عمر بن علي بن سالم رضي الدين القسنطيني النحوي الشافعي المتوفى سنة 695هـ21. قال فيه ابن العماد في (الشذارات): « ... رضي الدين القسنطيني بضم القاف وفتح السين المهملة وسكون النون نسبة إلى قسنطينة قلعة بحدود افريقية. العلامة أبو بكر عمر بن علي بن سالم الشافعي النحوي أخذ العربية عن ابن معطي وابن الحاجب وسمع من أبي علي الأوفى ... »22وعنه في(البغية) ورد:

« ... ولد سنة سبع وستمائة، ونشأ بالقدس، وأخذ العربية عن ابن معطٍ وابن الحاج، وتزوج ابنة ابن معط، وكان من كبار أئمة العربية بالقاهرة. سمع الحديث من أبي عوف الزهري وجماعة، وكان له معرفة تتمة بالفقيه ومشاركة في الحديث، صالحا خيّرا ديّنا متواضعا ساكنا ناسكا، سمع من جماعة كثيرة، وأضرّ بآخر عمره ومات سنة خمس وتسعين وستمائة »23.

ـ تاج الدين أبو محمود بن عابدين بن حسين التميمي الصرخدي الذي منحه ابن معطي إجازة إقراء[24].

جـ- مكانته العلمية: تعدّ الألفية ـ ألفية ابن معط ـ أول ألفية منظومة في النحو تتألف من نحو ألف بيت وهي: « من أشهر مؤلفات ابن معط لأنها أول منظومة نحوية في ألف بيت »[25]. كما عدّ صاحبها رائدا في استعمال لفظ (ألفية) في أشعاره؛ فقد أطلق هذه التسمية على منظومته النحوية فقال:

نحوية أشعارهم المروية هذا تمام الدرة الألفية[26]

وبهذا يعدّ ابن زواوة صاحب السبق وأول من شق الطريق في هذا المجال لمن جاء بعده؛ كابن مالك (672هـ) والآثاري (828هـ) وعبد الرحمان السيوطي (911هـ) الذي نقل عنه عبد الرحمان الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام) قوله: « إن الإنصاف يقتضي أن نقول أن نظم ابن مالك أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب » [27].

ـ أمّا المقري فقال في موازنته بين ألفيتي ابن مالك وابن معطي: « وأعلم أن الألفية مختصرة الكافية كما تقدم، وكثير من أبياتها فيها بلفظها، ومتبوعة فيها ابن معطي ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطي أسلس وأعذب »[28].

ـ وما خصه به السيوطي في (البغية) فقوله: « كان إماما مبرزا في العربية، شاعرا محسنا، وكان يحفظ شيئا كثيرا؛ فمن جملة محفوظا ته: كتاب صحاح الجوهري »[29].

ـ ونقل الموصلي عن ابن الوردي في تاريخه قوله عن ألفية ابن معطي: « وهي شاهدة لناظمها بإصابة الصواب والتفنن في الأدب حتى كـأن سيبويه ذا الإعراب قــال له: يا يحي، خذ الكتاب »[30].

د- وفاته: توفي ابن معطي نهاية شهر ذي القعدة من سنة 628هـ بالقاهرة « ودفن في الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه وقبره هناك ظاهر»[31]. وقيل: « أنه دفن قريبا من قبر المزني بالقرافة في طريق الشافعي عن يسرة المار رحمه الله وشهد جنازته شهاب الدين أبو شامة وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة »[32]. كما حضر جنازته والصلاة عليه الملك الكامل[33].

هـ- آثاره: من آثار ابن معطي الزواوي التي ورد ذكرها عند أصحاب التراجم، نذكر ما يلي:

ـ الدرة الألفية في علم العربية؛

ـ المثلث في اللغة؛

ـ العقود والقوانين في النحو؛

ـ الفصول الخمسون في النحو؛

ـ ديوان خطب (ديوان الخطيب)؛

ـ ديوان شعر؛

ـ أرجوزة في القراءات السبع؛

ـ نظم ألفاظ الجمهرة لابن دريد؛

ـ البديع في صناعة الشعر؛

ـ حواشي على أصول ابن السراج في النحو؛

ـ شرح على كتاب الجمل الزجاجي في النحو؛

ـ شرح لأبيات سيبويه ـ نظما ـ؛

ـ نظم كتاب في العروض؛[34]

ـ وحاول تظم معجم الصحاح للجوهري ولم يكمله.[35]

2ـ خصائص التأليف النحوي عند ابن معطٍ:

أطنب النّاظم في اعتماد الأمثلة التوضيحية؛ قصد الشرح والتبيّين، نحو ما أورده:

ـ في باب "الكلام":

اللفــظ إن يفــد هـو الكـلام نحــو: مضـى القوم وهم كرام[36]

فمثل للكلام بقوله: "مضى القوم وهم كرام".

ـ في باب "الأفعال المتعدية واللازمة":

القَوْلُ في الأَفْعالِ في التعَدّي وَتَنْتَهي لِسَبْعَـةٍ في الْعَـــدِّ

أوَّلُهـا لَـمْ يَتَجاوَزْ فَاعِـــلًا إذْ لَيْسَ للْمَفْعُولِ ذَاكَ قابِـلًا

كَطَالَ وَاحْمَرَّ وَنَحْـوُ: ظَرُفَا وَمِثْلُ: رَاحَ واغْتَدَى وَانْصَرَفَا[37]

فمثل للفعل اللازم بالأفعال: طال- واحْمرَّ- وظَرُفَ – راحَ – اغتدى – انصرف.

وفي قوله:

يكــون ساقِطا ومستبينا كاخْتـار موسى قومَه سَبعينا[38]

وفي كلامه عن الأفعال التي تتعدى إلى مفعولَيْن؛ بحروف الجر، نحو: اختار، واستغفر، وأمر. استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف:155]. فالمفعول الأول للفعل (اختار) هو (قومَ) والمفعول الثاني (سبعين) وقيل: « إن سبعين رجلا بدل بعض من قومه، وهو باطل لأن الفعل وهو اختار، يقتضي مختارا أو مختارا منه، فامتنع إقامة أحدهما مقام الآخر لفساد المعنى، وهو ذهاب المختار منه »[39].

2-2 ـ اعتمد الدليل النقلي وخاصة من كتاب الله ﷻ للزيادة من التمكين للقاعدة النحوية والإحاطة بها، ولتقوية ما ذهب إليه من آراء نحوية وتخريجات، نحو ما جاء في قوله:

كقوله جلَّ: هو اللهُ أحد ومن ما فسّر باسم انفرد[40]

فقد أورد محل الشاهد من قول الحق تبارك وتعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] للإشارة إلى المضمر (ضمير الشأن) الذي يفسره ما بعده ـ إمّا بجملة اسمية أو فعلية ـ وهو « للغائب دون المتكلم والمخاطب »[41]. فـ: (هو): مبتدأ. و (الله): مبتدأ ثان. و (أحد): خبر. والجملة الاسمية (الله أحد): في محل رفع خبر المبتدأ (هو).

ـ وفي قوله:

يشهدُ هاؤم اقرءوا كِتابِيَة لسيبويه واللغات العالية[42]

وفي هذا البيت يشير إلى المسألة الخلافية بين المدرستين ـ البصرية و الكوفية ـ في إعمال الأول أو الثاني في الظاهر؛ فاستشهد بقوله تعالى: ﴿ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: 19] انتصاراً للبصريين الذين قالوا بإعمال الثاني في الظاهر، عكس ما قال به الكوفيون وهو إعمال الأول؛ فلو كان الأمر كذلك لقال:« أفرغـه عليه فإن المفعـول وإن جاز حذفه إلا أن الأولى إثباته»[43].

3.2 ـ استخدم الشاهد من كلام العرب وبصور مختلفة إنْ تلميحاً أو تصريحاً، ومن الصور التلميحية التي أدرجها قوله:

فيقع الفعل والاسم بعدها واضمروا في الشعر ربَّ وحدها[44]

ففي شرح قوله: " واضمروا في الشعر ربَّ وحدها أشار إلى أن(ربَّ) تُضمر دون حروف الجر وهذا ما أثبته الموصلي بقوله: « فاعلم: أن رب تضمر وحدها أي دون حروف الجر بعد ثلاثة عاطفة. الواو وهو الأكثر، والفاء وبل، أما الواو: فكقوله:

وقائمِ الأعماق خاوي المخترق مشبه الأعلام لمَّاع الخفق

فمذهب سيبويه أن الجر برب مقدرة بعد الواو خلافا للكوفيين والمبرد. فإن الجر عندهم بالواو نفسها قياسا على واو القسم... والأول أظهر لأن الواو حرف عطف في الأصل وهو لا يعمل. ولأن الجر بعد الفاء وبل برب مضمرة بالاتفاق فوجب أن تضمر بعد الواو حملا لحالة على حالتين، لأنها قد جرت مع عدم الواو في قوله:

رسمِ دارٍ وقَفْتُ في طَلَلِه كِدتُ أقْضِي الحياة من جَلَلِه

وأما الفاء: فكقوله:

فخورٍ قد لَهَوْتُ بهنَّ عِينٍ نواعمَ في البرور وفي الرِبَاطِ

وأما بل: فكقوله:

بل بلدٍ ملء الفجاج قَتَمُهْ لا يشترى كتانه وجَهْرَمَه »[45]

ـ أما الصور التي حملت في طياتها استخدام محل الشاهد من أبيات شعرية تتمثل فيها القاعدة النحوية فكثيرة هي في ألفيته، ومنها ما يتجلى في قوله:

كـــذاك أن وكـــــأن خففـا في الشعر والقرآن ذاك عرفـا

نحو: كأن لم تغن أن لا يرجع أن هالك في الشعر أيضا يسمع[46]

فأشار بقوله " أن هالك " إلى قول الأعشى:

في فتية كسيوف الهند قد عملوا أنْ هالكٌ كل من يحفى وينتعلُ[47]

فـ (كلٌّ) مبتدأ مرفوع، و (هالك) خبر مقدم، واسم أن ضمير الشأن. والتقدير: أنه هالك كل من يحفى. « ولا يجوز أن يكون " كل من يحفى " اسمها، و " هالك " هو الخبر...لامتناع تقديم خبرها على اسمها مخففة كانت أو غير مخففة »[48].

4.2 ـ ذِكْرُه بعض المسائل الخلافية: ومنها: قوله:

واشتق الاسم من سما البصريون واشتقه من وسم الكوفيون[49]

وفيه إشارة إلى الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية حول أصل (الاسم) وإلى الحجج التي اعتمدها كل فريق تدعيما لرأيه؛ فقال البصريون: أصل اشتقاقه (سموَ) ومعناه في اللغة: ارتفع وعلا، ودعموا وجهة نظرهم هذه بقولهم: « الاسم يعلو على المسمى، ويدل على ما تحته من المعنى، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد: الاسم ما دل على مسمى تحته، وهذا القول كاف في الاشتقاق... فلما سما الاسم على مسماه وعلا على

ما تحته من معناه دلّ على أنه مشتق من السموّ، لا من الوسم »[50]. وقال الكوفيون: أصل اشتقاقه (وسمَ) ومعناه في اللغة: العلامة واحتجوا لرأيهم بقولهم: « الاسم وسم على المسمى، فصار كالوسم عليه؛ فلهذا قلنا: إنه مشتق من الوسم، ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: الاسم سمة توضع على الشيء يعرف بها. والأصل في اسم وسم،...»[51].والراجح أن الرأي الأول أظهر من الثاني لأمور، منها: « أحدها: تكسيره على أسماء وتصغيره على سُمَي، برد لامه فيهما لأنهما يردان الأسماء إلى أصولها دون أوسام ووُسَيْم؛ وثانيهما: تصرف الفعل منه نحو سميت وأسميته وسميتك دون وسمت وأوسمت ووسمتك...»[52].

ـ وفي قوله:

واشتق كوفيون أيضا مصـــدرا من فعله نحو: نظرت نظرا

واشتق منه الفعل أهل البصرة وذا الـذي تليق به النصرة[53]

كما يشير في هذين البيتين إلى وجه الخلاف بين المدرستين حول أصل الاشتقاق؛ فقال الكوفيون باشتقاق المصدر من الفعل ، وأنه فرع عليه واحتجوا بأن قالوا: « إنما قلنا إن المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله... وأن الفعل يعمل في الصدر...وأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل...وأن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل...»[54]. وقال البصريون باشتقاق الفعل من المصدر، وأنه أصل له وحجتهم في ذلك قولهم: « المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل... والمصدر اسم ، والاسم يقوم بنفسه ويستغني عن الفعل، وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم...الفعل بصيغته يدل على شيئين: الحدث و الزمان المحصل، المصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث، وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل...المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل، والفعل له أمثلة مختلفة...والفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر، والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل...»[55]. وغيرها من الحجج التي جاء بها البصريون تدعيما لموقفهم.

5.2ـ اعتماده على الأدلة العقلية: لم يقتصر استعمال ابن معط للأدلة والشواهد على المنقول فقط؛ بل وفي كثير من المواضع في ألفيته يلجأ إلى الأدلة العقلية لإقامة الحجة، واثبات وجهة النظر وهذا ما يمكن أن نستظهره من خلال ما ورد في قوله:

سمي مقصورا به تقدر الحركات كلها لا تظهر[56]

ويهدف من وراء ذلك إلى أن الاسم المقصور وهو ذاك الاسم المعرب الذي آخره ألف؛ قد سمي بذلك لأحد سببين: « إما لأنه قصر فيه الإعراب، أي حبس فيه لتعذر تحريك الألف... أو أنه نقص من ظهور الإعراب »[57].

ـ وفي قوله:

وإن يكن ياءً وكسر قبله يسمى منقوصا لنقص حَلَّهُ[58]

وضمنه أن الاسم المنقوص أيضا يسمى كذلك لأحد أمرين: « أحدهما لنقصان ما يستحقه من ظهور علامة الرفع والجر، والثاني لحذف لامه مع نقصان حركتي الجر والرفع »[59].

2.6ـ الجنوح إلى السهولة في التعبير، والوضوح في الفكرة، والبساطة والتنظيم في عرض الموضوعات النحوية، والتدرج في طرق كل مسألة؛ انطلاقا من التعريف إلى ذكر الخصائص والمميّزات على نحو ما ورد في باب " علامات الاسم والفعل والحرف ":

فَالاسْـمُ عَرِّفْهُ وَاَخْبِرْ عَنْـــهُ وَثَنِّــهِ واجْمَعْــهُ أَوْ نَوِّنْـهُ
وَاجْـرُرْهُ أَوْ نادِهِ أَوْ صَغِّـــرْهُ وَانْعَتْـهُ أَو أَنِّثْهُ أَو أَضْمِــرْهُ
وَالْفِعْلُ بِالسِّينِ وَسَوْفَ عُرِفَا وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَقَدْ إِنْ صُرِفَا
وَالْحَــرْفُ فَضْلَةٌ بِلَفْظٍ خَالٍ مِــنْ عَلَمِ الأَسْمَاءِ والْأَفْعَالِ
يَجِــيءُ إِمَّـا رَابِطًا أَوْ نَاقِــلًا أَوْ زَائِـدًا مُؤَكِّدًا أَوْ عَامِـلا[60]

فبعد أن تحدث عن حدِّ االاسم والفعل والحرف في الباب السابق-باب الكلام والكلم- أتى بباب: "علامات الاسم والفعل والحرف" بعده مباشرة مميّزًا كلٍّ منها بعلامات؛ فذكر من علامات الاسم: التعريف والإسناد والتثنية والجمع والتنوين والجر والنداء والتصغير والوصف والتأنيث والاضمار. في حين ذكر من علامات الفعل: السين وسوف وقد؛ التي تعين الفعل المضارع للاستقبال دون الحال، وكذا ذكر علامتي النهي الأمر إنْ كان متصرفا.

2.7ـ الإطناب من وسائل التدريب: ففي قوله في باب" إنَّ وأخواتها":

تقول: إن خالدًا كَــرِيمٌ وَلَيْتَ بَكْرًا عِنْدَنَا مُقِيمُ
وَاللَّامُ فِي خَبَرِ إِنّ تَدْخُلُ تَقُولُ: إِنّ خَالِدًا لَمُفَضَّلُ[61]

ذكر النماذج التدريبية:" إن خالدًا كَــرِيمٌ" و "وَلَيْتَ بَكْرًا عِنْدَنَا" و" إِنّ خَالِدًا لَمُفَضَّلُ" فالملاحظ أن ابن معط يُكثر من الأمثلــة التوضيحيــة بغرض التمكين للمتعلم من امتلاك القاعدة النحوية أو الصرفية، وتثبيتها.

2.8ـ الاختصار في عرض المادة العلمية: نظرا لطبيعة المُؤَلف التعليمة اقتصر الناظم على الضروري؛ لتوضيح القاعدة نحوية كانت أو صرفية. ففي كثير من الحالات يسرد القاعدة دون أن يمثل لها؛ بمعنى أنه في حالات يسرد القواعد دون الحاجة للتوضيح؛ لتشابه الحالات أو لليسر والسهولة أو غير ذلك من الأسباب. ويأتي بالمثال الواحد لبعضها.

2.9ـ تتميز طريقته في عرض المادة العلمية على المتعلمين؛ بالتوجّه رأسا نحو الهدف الذي رسمه - القاعدة النحوية- والتمثيل لها. وفي بعض الحالات يُعِد المتلقي نفسيًا من خلال تقديم التعريف ثم يبدأ في عرض خصائص الموضوع المطروق، نحو ما جاء في باب "الكلام والكلم" من قوله:

بِاللهِ رَبِّي فِي الأُمُـرِ أَعْتَصِــمْ الْقَــوْلُ فِـي حَـدِّ الْكَلَامِ وَالْكَلِـمْ
اللَّفْظُ إِنْ يُفِـدْ هُــوَ الْكَلَامُ نَحْــوَ: مَضَى الْقَوْمُ وَهُمْ كِرَامُ
تَأْلِيفُــهُ مِـنْ كَلِـمٍ وَاحِــدُهَا كَلِمَــةٌ أَقْسَامُهَــا أَحَــدُّهَــا
وَهِيَ ثَلَاثٌ لَيْسَ فِيهَا خُلْــفُ الِاسْمُ ثُمَّ الْفِعْـلُ ثُـمَّ الْحَــرْفُ
فَالِاسْمُ مَا أَ بَانَ عَنْ مُسَـمًّى فِي الشَّخْصِ وَالْمَعْنَى الْمُسَمَّى عَـمَّا

وَالْفِعْلُ مَا دَلَّ عَلَى زَمَـــانِ وَمَصـــدَرٍ دَلاَلَـــةَ اقْتِـــــرَانِ
وَالْحَرْفُ لَا يُفِيدُ مَعْنَـى إِلَّا فِـي غَيْرِهِ كَهَـلْ أَتـَى الْمُعَـلَّا[62]

فالناظم بعد أن فصّل في حدّيْ(الكلام) و(الكلمْ) ومثّل لذلك ...ثم فصل في أقسام الكلمة(الاسم والفعل والحرف) فصّل في تعريفاتها. وهو بهذا ينتهج طريقة تربوية؛ متمثلة في التهيئة النفسية للمتعلم قبل ولوج الموضوع المراد الإشارة إليه، وذلك لخلق أحسن الوضعيات المساعدة على التعلم بالنسبة للمتعلم.

خاتمة:

لقد كان لابن معطي الزواوي فضل السّبق في نظم ألفيته، بهدف تقريب الدّرس النحوي من الناشئة، وتسهيل حفظه؛ فجاء هذا المصنف التعليمي في صورة إبداعية تنمُّ عن شاعرية المُؤلِّف، وتبيّن الطريقة الاستنتاجية التي اعتمدها في بناء نظمه وكيفية انتقاله من العموم إلى الخصوص، إذ يبدأ بطرح القاعدة النحوية، والتي يتناول من خلالها حدّ الشيء، ثمّ الانتقال إلى معرفة خصائصه ودقائقه ومميزاته؛ فيعرّفها ويمثّل لها بأمثلة وشواهد من القرآن، ومن كلام العرب كلما سنحت الفرصة لذلك ـ طبيعة المُؤَلَّف (نظم) ـ ودون الإخلال بقواعد النظم وميزان الشعر. وهذا يبيّن قدرة المؤَلِّف وتحكّمه في المادّة اللّغوية وتوجيهها بالقدر الذي يريد، وفي الموضع الذي يريد. وعلى الرّغم من كلّ هذه المميّزات إلّا أنّ الدّارس لهذا المُؤلَّف الآخذ عنه يجب أن يكون على قدر كبير من المعرفة بكلام العرب، وقادرا على استنباطه من المواضع التي ذُكر فيها- خصوصا وأنّها وردت في صور تلميحية فقط- ومُلمّا بمطّرده وشاذة، وواعيا لكتاب الله عزّ وجلّ، مطّلعًا على القراءات؛ حتّى يستطيع تمييز محل الشاهد في النّظم وتوظيفه حسب ما وُضِع لأجله؛ وهذا ما قد يكون سببا في صعوبة المادّة النّحوية على المبتدئ، ويزيد من تعقيدها عند المتعلّمين، ونفورهم منها.

هوامش وإحالات المقال

[1] - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت:1990، المكتبة العصرية، ج1، ص31.

[2] - ينظر: محمد كشاش(تعليمية القواعد اللغوية) تعلّمية اللغة العربية، إشراف أنطوان صياح، ط1، بيروت:2006، دار النهضة العربية، 113.

[3] .عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط6، بيروت: 1986، دار الثقافة، مج2، ص 88.

[4] .الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العقد الثمين في تراجم النحويين، تح: يحي مراد، القاهرة:2004، دار الحديث، ص 100.

[5] .يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي، الدرة الألفية، تق: سليمان إبراهيم البلكيني، ط1، القاهرة: 2010، دار الفضيلة، ص9.

[6] .ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر:1961، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ج2، ص 467. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2. بيروت:1979، دار الفكر، ج2، ص 344.

[7] .عاشور شرفي، الكتاب الجزائريون قاموس بيبلوغرافي، الجزائر: 2007، دار القصبة، ص 91.

[8] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 9.

[9] ..عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مج2، ص 88.

[10] .ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، بيروت: 1954، دار صادر.، ج7، ص 292. محمد بن رمضان شاوش والغولي بن حمدان، ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،ط2 تلمسان:2005، مج1، ص 177.

[11] .ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مج2، ص 88. السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 344. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، 467. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، عين مليلة، دار الهدى، ج1، ص

[12] .رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الجزائر: 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 276

[13] ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 168.

[14] .ابن معطي الدرة الألفية،تق: سليمان إبراهيم البلكيمي، ص 10.

15 .مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة، تحقيق: محمد المصري ، ط1 ، دمشق: 2000، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ص 179.

[16] المرجع نفسه، ص 82.

[17] .عبد العزيز بن جمعة الموصلي، شرح ألفية بن معطي، تح: علي موسى الشمولي، ط1، الجزائر: 2007، ج1، ص 18.

[18] .المرجع نفسه، ج1، ص 31.

[19] .أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذارات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، ج5، ص 411.

[20] . ينظر: عبد العزيز بن جمعة الموصلي، شرح ألفية بن معطي، تح: علي موسى الشمولي، ج1، ص 32.

[21] .ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

[22] .ابن العماد، شذارات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، ص 434.

[23] .السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 470.

[24] .ينظر: عبد العزيز بن جمعة الموصلي، شرح ألفية بن معطي، تح: علي موسى الشمولي، ج1، ص 32.

[25] .المرجع نفسه، ص 9.

[26] .المرجع نفسه، ص 73.

[27] .عبد الحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مج2، ص 89.

[28] .المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، ج5، ص 232.

[29] .السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 344.

[30] .عبد العزيز بن جمعة الموصلي، شرح ألفية بن معطي، تح: علي موسى الشمولي، ج1، ص 33.

[31] .الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج2، ص 467. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 89.

[32] .الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، البداية والنهاية، تح: عماد زكي البارودي و خيري سعيد، القاهرة، دار التوفيقية، مج9، ص 9.

[33] .ابن معط، الدرة الألفية (مقدمة المقدم) ص 11.

[34] .ينظر: ابن معط، الدرة الألفية (مقدمة المقدم) ص10.عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 89.عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 167.السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 344.يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ص 16.عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص 153.كامل سليمان الجبوي، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، مج7، ص 17.

[35].ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 50.عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص 153.عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 167. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص89.

[36] .المرجع نفسه، ص 19.

[37] - المرجع نفسه،ص28.

[38] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 29.

[39] .الموصلي، شرح الألفية،ج1، ص 495.

[40] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 36.

[41] .الموصلي، شرح الألفية، ج1، ص 646.

[42] .المرجع نفسه، ص 36.

[43] .الموصلي، شرح الألفية، ج1، ص 646.

[44] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 25.

[45] .الموصلي، شرح الألفية، ج1،ص 403.

[46] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 47.

[47] .الموصلي، شرح الألفية،ج2، ص 149.

[48] .المرجع نفسه، ج2، ص 149.

[49] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 18.

[50] .كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن محمد بن سعيد الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، القاهرة: 2009،دار الطلائع للنشر والتوزيع، ج1، ص 27.

[51] .أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص 27.

[52] .الموصلي، شرح الألفية، ج1، ص 206. ينظر: إبراهيم محمد الصفاقسي، المجيد في إعراب القرآن المجيد، ص 41.

[53] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 18.

[54] .أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص206.

[55] .المرجع نفسه، ج1، ص 207.

[56] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 19.

[57] .الموصلي، شرح الدرة الألفية، ج1، ص 233.

[58] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 19.

[59] .الموصلي، شرح الدرة الألفية، ج1، ص 233.

[60] - ابن معط، الدرة الألفية، ص18.

[61] .ابن معط، الدرة الألفية، ص 47.

[62]- المرجع نفسه، ص 17.

قائمة المصادر والمراجع:

01- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2. بيروت:1979، دار الفكر.

02- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الجزائر: 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

03- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت:1990، المكتبة العصرية.

04- الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العقد الثمين في تراجم النحويين، تح: يحي مراد، القاهرة:2004، دار الحديث.

05- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، بيروت: 1954، دار صادر.

06- عاشور شرفي، الكتاب الجزائريون قاموس بيبلوغرافي، الجزائر: 2007، دار القصبة.

07- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر.

08- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط6، بيروت: 1986، دار الثقافة.

09- عبد العزيز بن جمعة الموصلي، شرح ألفية بن معطي، تح: علي موسى الشمولي، ط1، الجزائر: 2007

10- الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، البداية والنهاية، تح: عماد زكي البارودي و خيري سعيد، القاهرة، دار التوفيقية.

11- كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن محمد بن سعيد الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، القاهرة: 2009،دار الطلائع للنشر والتوزيع.

12- مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، البلغة، تحقيق: محمد المصري ، ط1 ، دمشق: 2000، دار سعد الدين للطباعة والنشر.

13-محمد بن رمضان شاوش والغولي بن حمدان، ارشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر،ط2 تلمسان:2005.

14- محمد كشاش(تعليمية القواعد اللغوية) تعلّمية اللغة العربية، إشراف أنطوان صياح، ط1، بيروت:2006، دار النهضة العربية.

15- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر:1961، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

16- المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، بيروت.

17- يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي، الدرة الألفية، تق: سليمان إبراهيم البلكيني، ط1، القاهرة: 2010، دار الفضيلة.

18- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، عين مليلة، دار الهدى.